

« صيغ المبالغة في القرآن الكريم »

دراسات لغوية :

د. حازم طه مجيد
كلية الآداب - جامعة الموصل

منهجنا في هذا البحث يسير بطريقة علمية احصائية تنبني على حصر المواضع التي وردت فيها صيغ المبالغة في القرآن الكريم .

واني - قبل أن أعرض لصيغ المبالغة في القرآن - أود ان الم المامة عجلني بأمر قياسية وسماعية هذه الصيغ من أثر وجهود علماء النحو قدامى ومحدثين .

١ - صيغ المبالغة بين القياس والسماع .

١ - سيبويه :

تناول سيبويه في مؤلفه صيغ المبالغة، فقال : (وأجروا اسم الفاعل اذا ارادوا ان يبالغوا في الأمر ، مجراه اذا كان على بناء فاعل ، لأنه يريد به ما اراد بفاعل من ايقاع الفعل ، لأنه يريد ان يحدث عن المبالغة . فما هو الأصل كرحيم والخ) (١) يفهم من عبارة سيبويه إجازة القياس لصيغ المبالغة وذلك في قوله (إذا ارادوا ان يبالغوا) ولو كان يرى أنها تقتصر على السماع لقال : سمع عن العرب هكذا واكتفى ، ولذا نراه يدل على صحة هذا ويعللة بقوله (لأنه يريد به ما ارادوا بفاعل من ايقاع الفعل الا أنه يريد ان يحدث عن المبالغة).

٢ - المبرد :

عبارة المبرد في المقتضب تنحو بظواهرها نحو قياسية صيغ المبالغة فيقول : (فإذا اردت أن تكثر الفعل كان للتكثير أبنية) ثم يورد الأبنية الخمسة ، ففي كلامه « اذا اردت » اشارة واضحة كل الوضوح الى قياسية صيغ المبالغة الخمس .

(١) الكتاب : لسبويه ١١/١ . تحقيق عبد السلام هارون

(٢) المقتضب : للمبرد ١١٣/٢ . تحقيق محمد عبدالخالق عضية

٣ - الرمخشري :

نقل الرمخشري في مؤلفه عبارة سيبويه ، فقال (قال سيبويه : وأجروا اسم الفاعل إذا ارادوا ان يبالغوا في الأمر مجراه اذا كان على بناء فاعل يريد نحر شراب وضروب ومنحار ... (١)). وقد تابعه ابن يعيش فقال (لأنه يريد به ما اراد بفاعل من ايقاع الفعل الا ان فيه اخباراً بزيادة مبالغة وتلك الأسماء فاعول وفعّال ومفعال وفعل وفعيل لجميع هذه الأسماء تعمل عمل فاعل ... هذا ضروب زيداً ، هذا ضرباً عمرأً وحدّ رعدوه ورحيم أباه) (٢) .

٤ - ابن مالك :

قال ابن مالك في الألفية : (٣) .

فَعَّالٌ او مَفْعَالٌ او فَعُولٌ - في كثرة - عن فاعل بديل
فَيَسْتَحِقُّ مَالَهُ مِنْ عَمَلٍ وفي فَعِيلٍ قَلَّ ذَا وَفَعَلٍ
أشار ابن مالك بهذين البيتين الى كثرة ورود الصيغ الثلاث : فعّال ومفعال وفعول ، والى قلة ورود فعيل وفعّل .

وأشار الصّبان في حاشيته على الألفية بأن قوله (فيستحق ماله من عمل) يفيد ان جميع الأمثلة الخمسة تعمل قياسياً وهو الأصح (٤) .

وذهب الدنوشري الى ان البصريين قد جعلوا الصيغ الخمس قياسية ، فقال : (مذهب البصريين منقاسة في كل فعل متعد ثلاث ، نحو ضرب ، تقول : ضرباً ، ومضرباً ، وضروب ، وضريب ، وضرب) (٥) .

(١) ابن يعيش . شرح المفصل ٧/٦

(٢) المصدر نفسه . ٧/٦

(٣) ابن عقيل ٩٠/٢٠

(٤) انظر حاشية الصبان ٢٩٦/٢

(٥) انظر شرح التصريح على التوضيح ٦٧/٢

٥ - السيوطي :

أشار في مؤلفه همع الهوامع ، اليها فقال : (يعمل بشرطه ماحول منه للمبالغة الى فعّال وفعول ومفعال وفعيل وفعّل .. وبعد ان اورد الأمثلة قال : ولدلالاتها على المبالغة لم تستعمل الا حيث يمكن الكثرة ، فلا يقال موات ولاقتال زيد (١). فالظاهر من كلامه جواز الصياغة على هذه الأوزان ما تريد من الأفعال اذا مادلت على الزيادة وكانت قابلة للتكثير .

نحويون معاصرون ؟

أ - عباس حسن :

يجدر بنا بعد ما أسلفناه ان نذكر آراء بعض النحويين المحدثين واول ما نتجه اليه هو عباس حسن . يقول (يمكن تحويل صيغة فاعل الدالة على اسم الفاعل من الثلاثي الى صيغة «فعال» او غيرها (من الصيغ المعروفة باسم صيغ المبالغة . واشهرها خمس قياسية في : فعّال ، ومفعال وفعول ، وفعيل ، وفعّل) ثم يذكر صيغاً اخرى مقصورة على السماع ، واشهرها من الفعل الماضي الثلاثي ، « فعّيل ، مفعّل ، نحو « شريب ، مسعر ... »

ب - محمد الخضر حسين :

لقد ورد في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة بحث قيّم لمحمد خضر حسين ، جاء فيه قوله (ثم وقفنا على عبارة لأبي اسحاق الشاطبي في شرح الخلاصة تدل على ان بناء صيغ المبالغة مقيس ، وظاهر اطلاقها أن هذه الصيغ «فعّال ، مفعّل ، فعول ، فعيل ، فعل » مقيسة في المتعدي واللازم » (٣) .

الى هنا قد استعرضنا عدداً من الكتب النحوية لمعرفة آراء النحويين في صيغ المبالغة ولو شئنا ان نستقصي ما حظيت به كل الكتب النحوية لذهبنا الى مدى بعيد ، ولأن المقام يقتضينا الأيجاز وحسبنا بعد ما أسلفناه يمكننا ان نحكم مطمئنين بقياسة الصيغ الخمس الدالة على المبالغة وهي : فعّال ، ومفعّل وفعول وفعيل وفعّل ، وما عدا هذه الصيغ فهو مسموع عن العرب ولا يقاس عليه .

(١) السيوطي . همع الهوامع ٩٧/٢

(٢) عباس حسن . النحو الوافي ٢٠٩/٣

(٣) انظر دراسات في اللغة لمحمد الخضر حسين ص ٧٢

«صيغ المبالغة في القرآن الكريم»

بعد هذا التمهيد الذي لم يكن بدّ من تقديمته نعود الى موضوعنا ، واول ما نتجه اليه في

هذا الصند هو صيغة :

٢ - فَعِيل

لقد تبعت صيغ المبالغة في القرآن فوجدت ان صيغة (فعيل) اكثر صيغ المبالغة وروداً في القرآن ، واحصيت عددها فوجدتها (مائة) لفظة على وزن (فعيل) غير مكررة وهذا العدد يشمل صفات الله عزوجل وصفات الرسل - عليهم الصلاة والسلام وصفات المؤمنين ، وعامة الخلق من حيوان وجماد !

ومما يجدر بنا ان نشير اليه في هذا المقام ان صيغة (فعيل) وردت في صفات الله تبارك وتعالى مكررة (٩٢٧) مرة وكانت (٢٣) صفحة ، وهي : بديع كريم ، حفيظ ، سميع بصير رحيم حلِيم ، شهيد ، حسيب ، رقيب ، علِيم ، قدير والنخ

وحرى بنا ان نشير اليه في ضوء دراسة هذه الشواهد أننا لم نجد ذكراً لأعمال صيغة فعيل في القرآن الكريم مطلقاً .

فالبصريون والكوفيون اتفقوا على وجود الأسم المنصوب بعد صيغ المبالغة، ولكن اختلفوا في تعليل ذلك

قال الشاعر (١) :

فتاتان اماً منهما فشيبيهة هلالا واخرى منهما تشبه البدرا ؛
الشاهد فيه قوله : «فشيبيهة هلالاً» حيث أعمل صيغة المبالغة التي على زنة فعيل - وهي قوله «شبيبه» عمل اسم الفاعل الذي هو أصلها ، نصب بها مفعولاً وهو قوله « هلالا » .
فالبصريون يجوز في مذهبهم أعمال صيغ المبالغة عمل الفعل واستدلوا له بالسماع والقياس . اما السماع فهذا الشاهد الذي أوردناه وغيره في الكتب النحوية .

(١) هو عبد الله بن قيس الرقيات

وأما القياس فلأنها واقعة موقع اسم التفاعل الذي فعله على مثال فعل - بتشديد العين
الا ترى أن صيغة فعل - بتضعيف العين - تدل على الكثرة والمبالغة أما الكوفيون فيمنعون
ذلك ولا يجوز في مذهبهم ، وعندهم أنه إذا ورد في كلام العرب ما ظاهره أعمال صيغة
منها فإنه مؤول (١) ويجمل بنا أن نورد أمثلة عما ورد في القرآن الكريم لنعلم نهجه
في أيراد صيغ المبالغة .

قال الله تبارك وتعالى (فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي
قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً أن ربي على كل شيء حفيظ) (٢). هذه الآية ذكرها
القرآن الكريم على لسان هود عليه الصلاة والسلام بعد أن كذّبه قومُه واستهزؤا به وقالوا
له فيما قالوا : (أن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) (٣) فهم يعتزون بالهتهم ،
وهود عليه الصلاة والسلام يريد صرفهم عنها ولكنهم كانوا يستهزؤن به ، ويزعمون أن
آلهتهم تضر وتنفع ، فأراد هود أن يحطم هذا التصور ، ويعلمهم أن الله هو الذي يحفظ
كل شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض ، وكذلك يحفظ نبيه مسن
الكيد ومن المكر . فلما أراد أن يضحخ هذه الصنمة العظيمة في هذا الموضع وهي «الحافظ»
قال : «حفيظ» وهي على صيغة «فعليل» مبالغة «حافظ» على وزن «فاعل» وبذلك أدت
صيغة المبالغة المعنى المطلوب في السياق ، فوجد هذه الصنمة في الله تبارك وتعالى وهي
صيغة المبالغة أغنت كثيراً من التكرار أو التوكيد . قال النسفي : (وحفيظ : رقيب عليه
ومهيمن ، فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم) (٤)

ولنأخذ آية أخرى وهي قوله تعالى (وبشرناه بغلام حليم) (٥) وهذه بشارة الله تبارك
وتعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام جزاء إخلاصه لداعي السماء ، وإخلاصه في توحيد
الله ربه . فوجه الله اسماعيل عليه الصلاة والسلام . ولكن البشري لا بد أن تنطوي على

(١) انظر شرح الأشموني على الفيه ابن مالث ٦٦/٤

(٢) سورة هود . آية ٥٧

(٣) سورة هود . آية ٤٤

(٤) انظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي ١٩٤/٢

(٥) سورة الصافات آية ١٠١

صفات عظيمة للمبشر به لئتم القصد من البشارة . ولذلك وصف الله تعالى اسماعيل — بأنه كثير الحلم ، وهذه الصفة عظيمة لكبار العظماء ، إذ لا يوصف بالحلم إلا الوقور المهيب ، ثم لم يكتف بذلك بل بالغ في شدة حلمه فقال (حليم) وهي صفة اسبها الله عزوجل الى نفسه ، ولكن شتان ما بين صفات الخالق والمخلوق . ونفهم ضمناً من هذه الآية الكريمة أن البشارة تنطوي على بشارة اخرى وهو أن هذا المولود سيكبر ويصير غلاماً فرجلاً ، لان الله أخبره بأنه سيهبه غلاماً ولم يقل وليداً أو طفلاً ثم قال «حليم» والحلم الكثير لا يكون ، ولا يمتدح عليه الا الكبير . فدل على أن «اسماعيل» سيكبر ويصير رجلاً حليماً ، وهذا في غاية الروعة والسرور بالنسبة لرجل لا ينجب اولاداً وقد بلغ من الكبر عتياً وأمراته عجوز عقيم . وكذلك قوله تعالى (أن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم) (١) وردت كلمتا (العزيز العليم) وهما على صيغة فاعيل غير أن لفظة عزيز من الفعل اللازم وهو (عز) ويجوز مجيء صيغ المبالغة من الفعل اللازم ويكاد يكون هذا إجماعاً ، أما المختلف فيه فهو عمل الصيغ التي ترد من الفعل اللازم وقد أجازها سيبويه... أما لفظة (عليم) فجاءت متعدية لأنها مأخوذة من الفعل (علم) وهو متعد . فالعزيز العليم ، صفتان لله تبارك وتعالى — تدلان على كثرة وسمو العزة وسعة العلم الذي لا يدركه مخلوق كما قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) (٢) فإذا كان (شيء من علمه) لا يحاط به فكيف بعلمه كله ؟ وكذا (العزة) إذا كان هذا المخلوق يدعى التجبر والعزة ويقول «الأوتين» مالاً وولداً) (٣) ويقول (ليخرجن الاعز منها الأذل) (٤) يقصد بالأعز نفسه والأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان هيندا شأن مخلوق مهين في أدعاء العزة ، فما بالك بجبار السماوات والأرض... لقد ذكرت هذه الصفات على بناء (فاعيل) للدلالة على السعة والشمول والكثرة . وبهذا نعلم السر العظيم الذي تؤديه هذه الصيغ

(١) سورة النسل آية ٧٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٣) سورة مريم آية ٧٧

(٤) سورة المنافقون آية ٨

٢ - صيغة فعّال

ترد صيغة فعّال في المرتبة الثانية بعد صيغة (فعليل) وذلك حسب العدد الذي ورد في القرآن الكريم . فقد أحصيتها فوجدتها «٤٢» لفظة عشرّاً منها في صفات الله تبارك وتعالى واثنان وثلاثون في صفات عباده من البشر، وصفات عدد من الظواهر الطبيعية وفي يوم القيامة . وهذا العدد أنما هو من دون تكرار ، اما المكررة فهو «١٢٣» مرة . وهذا الرقم لصيغة «فعّال» الواردة في صفات الله تعالى في القرآن الكريم هي : جَبَّار . فعال ، علامّ ، قهّار ، خَلّاق ، عَفّار ، فَتّاح ، رزّاق ، تواب ، وهّاب . أما باقي الصفات فلاداعي لذكرها لكثرتها على نطاق هذا البحث.

وصيغة (فعال) لم تعمل عمل فعلها في القرآن الكريم قط ، وإنما وردت صفات مشبهات ويجدر بنا أن نسوق عدداً من الامثلة على صيغة (فعال) حسب ورودها في القرآن الكريم . قال الله تعالى (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدّها آياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه أن ابراهيم لأوآه حلیم) (١) فكلمة (أوآه) على وزن (فعّال) للمبالغة وأوآه الرجل إذا توجع . والمصدر تأويهاً (٢) . والمبالغة منه : أوآه والأوآه . الكثير التأوه أي كثير التوجع أما وصف ابراهيم عليه الصلاة والسلام بأنه (أوآه حلیم) فيقول الزمخشري «معناه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على آبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته (٣) عليه (٤) .

يبدو لنا من الآية الكريمة أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان رقيقاً أشد ما تكون الرقة مع آبيه ، ورحيماً غاية الرحمة ، فعندما يراه وقومه في ذلك الضلال يعبدون «مسا لا يسمع ولا يبصر» كان يكبر ذلك في نفسه فكان يتأوه عليهم من أعماق نفسه ، ولهذا أصر على الاستغفار لأبيه على الرغم من هجره آياه ، وتهديده له بالرجم ، بيد أن تأوه ابراهيم ورقته لم تخرجاه عن الطريق السوي فإنه حينما تراعى له أن آباه عدو لله قطع

(١) سورة التوبة آية ١١٤

(٢) انظر مختار الصحاح للرازي ص ٣٤

(٣) شكاسته : أي صعوبته

(٤) انظر حاشية الكشاف ٣١٥/٢

الاستغفار ، بل تبرأ منه ... وهنا - والله أعلم - يكمن السر في أتباع صفة «حليم» بعد «أواه» فلما وصفه بأنه «أواه» أعلمنا الله تبارك وتعالى - أن هذا التأوه من ابراهيم ليس تأوه العواطف التي تقوم على الصلات والروابط العنصرية ، وإنما كان حليماً في تأوهِه إذ تبرأ من أبيه لأنه قد عصى الله - تعالى - فإبراهيم هنا قد تجرد من الهوى ومن نزعات العاطفة الخاصة ، وأخلص الاخلاص كله لعقيدته - فاستحق الوصف الكامل لذلك - فوردت صيغة المبالغة لتؤدي دورها في وصف ابراهيم عليه الصلاة والسلام فجعلنا نحسُّ من وراء حروف صيغة المبالغة العظمة النبوية الكريمة ، وهذا - مامن شك دور أبنية المبالغة .

ومما ورد على وزن (فعمال) قوله تعالى (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (١)

تبين لنا في هذه الآية الكريمة دلالات معنوية عالية ، وذلك بما تتضمنه من شرح لخوالج النفس البشرية ... من خلال كلمات معدودات .

والآية وردت في معرض الكلام عن اليهود ، بعد أن تجاوزوا حدود الله فقالوا : (أن الله فقير ونحن أغنياء (٢)) وقتلوا أنبياء الله وحرفوا كلامه ، وأفرطوا كل الافراط في عمل المنكرات والخبائث بعد كل ذلك جعل الله تعالى عاقبتهم كما قال : (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) (٣) فهذا هو جزاؤكم : «ذلك بما قدمت أيديكم» .

وكأن الكافرين قد استثقلوا هذا العذاب ووجدوه زائداً عن قدر معصيتهم لشدة وهوله فأجابهم الله تبارك وتعالى بأن ذلك حق لا ريب فيه فقال (أن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لَدُنْهُ أَجراً عظيماً) (٤) فالله يحاسب على كل صغيرة

(١) سورة آل عمران ، آية ١٨٢

(٢) سورة آل عمران آية ١٨١

(٣) سورة آل عمران . آية ١٨١

(٤) سورة النساء . آية ٤٠

وكبيرة مهما كانت . ولذلك يعجب الكافرون من هذه الدقة المتناهية في الحساب ، ويقولون (ياويلتنا مالِ هذا الكتاب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) (١) .

فلما كانت محاسبة الله تبارك وتعالى — وعدله بهذه الدقة اقتضى السياق الإتيان بلفظة تجمع كل ذلك المعنى وتوحيه لنا من خلال حروفها ، وفيما وراء حروفها ، وهذه اللفظة هي صيغة (فعال) فقال : (وان الله ليس بظلام للعبيد) ولم يقل — سبحانه — : وان الله ليس بظلام للعبيد ، لانه أراد بذلك وجوداً منها :

١ — ليعلمهم «أن ترك مثلهم يعد ظلاماً كبيراً»

٢ — ليفيد أن مساواتهم مع المؤمنين هو ظلم كثير ، وانما العدل أن يحاسب كلا بما عمل

٣ — قال بعض العلماء : «ان كان القليل من الظلم يعد كثيراً بالنسبة إلى رحمته الواسعة ، عبر في نفيه بصيغة المبالغة الدالة على الكثرة (٢)

٤ — أن «ظلاماً» وإن كان يراد به الكثرة لكنه جاء في مقابلة العبید ، وهو جمع كثرة ، إذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً (٣)

٥ — قيل أنه أتى بلفظة (ظلام) التي هي للمبالغة استغناء عن ذكر القول مكرراً ؛ فكانه أراد : ليس بظالم ليس بظالم (٤) ...

ولا يخفى على القارئ دقة الاسلوب ، فقد ورد في قوله تعالى (وان الله ليس بظلام للعبيد) عدة مؤكدات . ف (أَنَّ) تفيد التوكيد بالإضافة إلى عملها ، و(ليس) للنفي القاطع ، ثم ورد (الباء) في خبرها ليؤكد النفي ويزيده قوةً ، ثم تأتي التمرة المؤكدة الكبرى وهي صيغة المبالغة (ظلام) فاستحكم الأمر وانتفت الشبهة بها ، فالقرآن يضع كل كلمة في موطنها الذي هو اجدر بها وهي اجدر به .

(١) سورة الكهف . آية ٤٩

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ٤/٢٦٦

(٣) البرهان للزركشي ٥٧/٢

(٤) المصدر نفسه ١٣/٢

٣ - صيغة فعول

ترد صيغة «فَعُول» في المرتبة الثالثة وذلك حسب ورودها في القرآن الكريم لقد احصيتُ عددها فوجدتها «١٩» مرة من دون تكرار .

وردت في صفات الله تبارك وتعالى ، وصفات الرسل وغيرها من الصفات ، أما صفات الله تبارك وتعالى فهي خمسة (غفور ، شكور ، ودود ، رؤوف ، عفو) (١) واما باقي الصفات فقد جاء اثنتان منها للأنبياء والمؤمنين ، وهي في الوقت ذاته تُعدان من صفات الله عز وجل ، وهي : «رؤوف وشكور» لقد وردت «رؤوف» صفة لله عز وجل في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم (٢)) وكذلك وردت صفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (٣) كما وردت صفة «شكور» لله تبارك وتعالى بقوله (ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) (٤) ، ووردت صفة لبعض الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومنهم نوح وذلك بقوله تبارك وتعالى (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) (٥)

ووردت صفة للمؤمنين عامة ، وذلك كقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) (٦) .

أما باقي الصفات فهي : (فخور ، عجول ، كفور ، زهوق ، قنوط ، خنول ، طهور ، غرور ، ظلوم ، جهول ، قنوط ، نصوح ، عبوس) (٧) .

(١) قال الرازي في مختار الصحاح : والعفو : على فعول : الكثير العفو ص ٤٤٣

(٢) سورة البقرة . آية ١٤٣

(٣) سورة التوبة . آية ١٢٨

(٤) سورة فاطر . آية ٣٠

(٥) سورة الاسرار . آية ٣

(٦) سورة ابراهيم . آية ٥

(٧) هذه الصيغ يمكن الرجوع إليها في موارد من المعجم المنهرس لألفاظ القرآن الكريم

لمحمد فؤاد عبدالباقي .

ومما تجدر الإشارة إليه أن صيغة (فَعُول) كما هو معلوم تصاغ من اسم الفاعل لتفيد الكثرة والمبالغة في الوصف . فصنعت الله تبارك وتعالى ترداداً على (فَعُول) وتارة أخرى على (فاعل) وما من ريب أن (فَعُول) أبلغ من (فاعل) ولكن صفات الله عز وجل - لا تخضع لهذا المقياس لأنها دائماً وابدأً لا يمكن أن يتطرق إليها التقصير ولكن سياق الأسلوب القرآني يقتضي أحياناً المبالغة ، فتردد الصفات على هذه الأوزان وكأنها تعبير عما تعارفنا عليه نحن البشر ، فالقرآن الكريم يخاطبنا على قدر طاقتنا . وهذا سرٌّ من أسرار الإعجاز القرآني) . نسوق مثلاً واحداً لإيضاح ما ذكرنا ، فكل من لفظ (غفور) ولفظ (غافر) وارد في القرآن الكريم بخصوص الله - تبارك وتعالى - فقوله تعالى (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) (١) . أتى بصيغة (فَعُول) في قوله (غفور) ولم يقل (غافر) . ويتراءى لنا أن الله - تبارك وتعالى - لما وصف المؤمنين بأنهم هم (الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور) (٢) أراد أن يقابل هذه الطاعات العظيمة من قبل عباده المؤمنين أن يقابلها بالغفران الواسع لأنهم أهل لذلك - وهو تبارك وتعالى - أهل للغفران فذكر أنه «يوفيهم أجورهم» وهذا من باب العدل والفضل . لأن العامل إذا حصل اجرة فقد سقط حقه ... ولكن الله - تبارك وتعالى - وهو الكريم الذي لا يحيط به وصف - امتنَّ على عباده ، فذكر أنه لا يقتصر على إيفائهم أجورهم ، بل «ويزيدهم من فضله» فهذه الزيادة في عُرفنا تقتضي في مقابلها صفة معبرة عن ذلك تمام التعبير فوردت «إنه غفور شكور» .

أما إن كان السياق لا يقتضي المبالغة فيأتي اسم الفاعل كما هو على صيغة «فاعل» من دون مبالغة ، وذلك كقوله (غافر الذنب وقابل التوب) (٣) .

ومما ورد على صيغة (فَعُول) من صفات الإنسان قوله تعالى (ولئن أذقنا الإنسان منا رحمةً ثم نزعناها منه إنه ليكفوراً) (٤) . فصرف الإنسان في سياق هذه الآيات بهذه الصيغ

(١) سورة فاطر . آية ٣٠

(٢) سورة فاطر . آية ٢٩

(٣) سورة غافر . ٣٠

(٤) سورة هود . ٩

البليلة المعنى إنما هو في موضعه ، وانه لتعبير صادق عن طوايا النفس الإنسانية (ومن أصدق من الله قبلاً) (١) .

فصفة اليأس جاءت على (فَعُول) لماذا ؟ تبين لنا أنه ورد في عدد من الآيات أن الإنسان إذا أصابته نعمة ، ووسّع الله عليه الرزق ، نسى ربه ، ونسى المصدر الذي امده بهذا الرزق فكفر وتجبّر ، وادعى انه إنما جمع المال بحوله وقوته . وهذا يصوره اروع تصوير قوله تعالى (ولئن اذقناه نعمة منا من بعد ضراء مسته ليقولنَّ هذا لي وما أظن الساعة قائمة...) (٢) . أو كما قال قارون (قال إنما أوتيته على علم عندي) . (٣) ... وهذا كفر صريح غاية الصراحة بالرزاق المنعم (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٤) . فالإنسان اذا ما أصابته مصيبة في ماله أو ولده أو شيء عزيز يعتز به الإعتزاز كله دبّ اليأس اليه واضطرب اشد الاضطراب وظن أنه فقد كل شيء ... فكفره الصريح بالمنعم العظيم ، ويأسه من إعادة ما كان قد فقد ... كل ذلك تصوره صيغة المبالغة (يؤوس كفور) فالمبالغة إذا أفادت دوراً عظيماً في مجال التعبير ذي المدلول الواسع . فهذا ما تضمنته صيغة المبالغة في هذه الآية الكريمة من الأسرار وهي قطرة من بحر ، بل بحر لا ساحل له . وانما نذكر طرفاً يسيراً منه ليكون منها على ما وراءه من براهين لأن برهان القرآن الكريم بيّن كاف لا يحتاج الى غيره .

٤ - صيغة فَعَل

وردت صيغة (فعل) في القرآن الكريم بيد ان ورودها قليل اذا ما قارنا بينها وبين الصيغ الثلاث المتقدمة .

وعلى الرغم من ذلك . فقد وردت هذه الصيغة أكثر عدداً من صيغة (مفعول) هذا الاستعمال القرآني يزيل ما تعارف عليه علماء اللغة العربية بهذا الصدد اذا انهم جعلوا صيغة (فعل) في المرتبة الأخيرة من صيغ المبالغة القياسية اما (مفعول) فإنها ترد في المرتبة الثانية بين الصيغ وهي (بعد فعال وقبل فَعُول) .

(١) سورة النساء . ١٢٢ .

(٢) سورة فصلت . ٥٠ .

(٣) سورة القصص . ٧٨ .

(٤) سورة طه . ٥٠ .

وفي ضوء ورودها في القرآن الكريم أحصينا ذلك فكان «٥» مرات من غير تكرار ،
ووردت (١٢) مرة .

والصفات التي وردت بها (فعل) هي (كذب) (١) ، وجلون ، زخرة ، فرح ، أشر) (٢)
وقد ثبت لنا من تتبع هذه الصيغة أنها لم ترد في شيء من صفات الله - تبارك وتعالى - بل
ان الصفات التي جاءت على هذه الصيغة انما هي صفات سلبية اي انها صفات غير محمودة
ونحن اذا انعمنا النظر وجدناها ووردت متفرقة مستعملة استعمالا دقيقاً وللنظر في هذه
الصيغة نظرة متزنة لنذكر موقعها من العمل في القرآن الكريم .

١ - كاذب

أكثر ورود كلمة (كاذب) على اذنه مصدر . وخاصة في القرآن الكريم بيد ان الذي
يلفت نظر الباحث في هذه الكلمة ، انها قد وردت في بعض الايات القرآنية على صيغة
(فعل) التي للمبالغة . والدليل على ذلك ما يستنبط من التدقيق في معنى الاية الكريمة وترصد
المراد من هذا الاستعمال قال الله تبارك وتعالى . (وجاءوا على قميصه بدم كاذب) (٣) .
ذهب جمهور المفسرين الى ان (كاذب) انما هي مصدر نزل منزلة الصفة في هذا
الموطن ليفيد المبالغة (٤) . اي انه ليس للمبالغة ولكن الاستعمال اللغوي للكلمة جعلها
للمبالغة ، وبعبارة أوضح . ان كلمة « كاذب » في هذه الاية بالذات فيها مبالغة في المعنى
وليس في الصيغة .

ويبدو لنا انه لما اراد أخوة يوسف - عليه الصلاة والسلام - دليلاً يدعمون به دعواهم
وهو ان يوسف قد أكله الذئب «جاءوا على قميصه بدم كاذب» . فهذا الدم هو بمنزلة
الشاهد لهم في هذه الدعوى ، والشاهد تحتمل شهادته الصدق والكذب . فاراد الله - تبارك

(١) - كلمة كاذب مصدر . ولكنني لاحظت أن القرآن استعملها في بعض المواضع مبالغة كما هو بين
انظر معجم الفاظ القرآن الكريم .

(٢) ذذب الزركشي الى إن (حاذرون) في قوله تعالى (وانا لجميع الخاذرون) ذي على وزن
(فعل) للمبالغة . فلا أرى ذلك لأنها جمع حاذر وليس جمع حذر لان جمع حذر حذرون

(٣) سورة يوسف . آية ١٨

(٤) سورة هود . آية ١٠

وتعالى- أن ينفي صدق هذا الشاهد ، فجعله (كاذباً) بيد انه بالغ في كونه كاذباً فقال (كذب) على زنة فعل للمبالغة ، ومن تدبر الآية حق التدبر وما اشتملت عليه من حكمة وعدل تبين له الوجه في هذه الآية . فالقرآن الكريم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره فإنه الدليل والمدلول عليه .

٢- فرح

هذه اللفظة على وزن (فعل) للمبالغة في وصف المقصود بكثرة الفرح وقد وردت في مواطن من القرآن الكريم منها قوله تعالى (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني وانه لفرح فخور) (٢) وهذه الآية من تدبرها حق التدبر او جب له تدبيره علماً و يقيناً ان الإنسان بصورة عامة حريص أشد الحرص على جمع المال . فاذا اصابته جائحة في ماله حزن اشد الحزن ، ونسي باقي النعم . فهو «كفور» واذاقه الله تبارك وتعالى رغد العيش ويسره فرح الفرح كله وهذا الوصف يوجب كلمة تجمع هذه المعاني ، فكانت لفظة «فرح» التي هي للمبالغة مصورة هذه الحالة النفسية لدى كثير من الناس .

٥- صيغة مفعال

هي احدى صيغ المبالغة القياسية . وقد جعلناها في المرتبة الاخيرة من صيغ المبالغة ، تبعاً لورودها في القرآن الكريم .

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن علماء القرآن لم يذكروا هذه الصيغة ضمن صيغ المبالغة الواردة في القرآن الكريم . فصيغة «مفعال» من الصيغ القياسية المشهورة لدى النحويين واللغويين ، والذي اعتقده انهم اما لم يعثروا على كلمة في القرآن الكريم على وزنها ، واما انهم لم يبحثوا عنها بدقة .

غير اننا بعد التأمل في القرآن الكريم واستقراء آياته وجدنا كلمتين فيه على وزن «مفعال» هما : مرصاد ، ومدرار . وتحقيق القول في هذا يدعونا إلى ان نوضح بعض التوضيح كل كلمة منهما .

١- مدارار

وردت كلمة مدارار ثلاث مرات في القرآن الكريم . الأولى في قوله تعالى (ألم تروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكّن وأرسلنا السماء عليهم مدراراً

وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكتناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين (١) والثانية قوله تعالى - حكاية عند هود عليه الصلاة والسلام (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدركم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مُجرمين) (٢) والثالثة قوله تعالى - حكاية عن نوح - عليه الصلاة والسلام - (يرسل السماء عليكم مدراراً) (٣). وجميع هذه الصفات «مدراراً» وردت صفات للسماء ، ولم ترد في موضع آخر فقوله تعالى «مدراراً» هي من قولهم : درت السماء بالمطر درراً ودروراً : إذا كثرت مطرها ، وسماء مدرار وسحابة مدرار (٤) .

ففي هذه الآيات تبين أنه من الله - تبارك وتعالى - على عباده بأنه يرسل عليهم غيثاً مغيثاً متتابعاً ينشيء في حياتهم الخصب والنماء ويفيض عليهم من الأرزاق . وقد جرى الرسل - صلوات الله عليهم - في تبليغهم لرسالات ربهم هذا المجرى ، فنوح وهود قد أمرا قومهما بكثرة الاستغفار والتوبة إلى الله تبارك وتعالى - لأن في ذلك صدقاً للعبودية وتمثلاً كاملاً للطاعة كما أمر الخالق جل شأنه .

٢ - مرصاد

هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم مرتين إحداهما في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصاداً) (٥) . والثانية في قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) (٦) .

أما الآية الأولى فقد وردت (مرصاد) فيها على وزن (مفعال) صيغة مبالغة من رصد يرصد فهو راصد ، فإذا زاد الفعل منه نقول (مرصاد) فقد جعلت جهنم مرصاداً ترصد العصاة فلا ينجون منها أحد . ونسبة هذه الصفة لجهنم وإن كانت جماداً ، إنما هو لزيادة التهويل وتعظيم الموقف .

(١) سورة الأنعام . آية ٦

(٢) سورة هود . آية ٥٢

(٣) سورة نوح . آية ١١

(٤) ابن منظور . لسان العرب ٢٨٠/٤

(٥) سورة النبأ . آية ٢١

(٦) سورة الفجر . آية ١٤

وقد نسب القرآن لجهنم في مواضع أخرى أنها تلتهم الكفار وتطلب المزيد (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) (١) أما قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) (٢). فالمشهور ان المرصاد هنا من اسم المكان على وزن (مفعال) يقول ابو حيان : (والمُرْصَاد والمرصد : المكان الذي يترتب فيه الرصد «مفعال» من رصده وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعتاب وانهم لا يفوتونه) (٣) وهذا رأي وجيه ، وذلك لدخول الباء عليها فلا يمكن حملها على الصفة ، وحملها على اسم المكان أولى وأوفق .

وقد ذكر ابو حيان عند ابن عطية قوله (ويحتمل أن يكون المرصاد في الآية اسم فاعل كأن قال : لبالمرصد فعبر ببناء المبالغة) (٤) . بيد أنه ردَّ عليه بقوله (ولو كان كما زعم لم تدخل الباء لأنها ليست في مكان دخولها ؛ لا زائدة ولا غير زائدة) (٥) .

وخلاصة القول في صيغة «مفعال» من صيغ المبالغة غير أنها لم ترد في القرآن الكريم كثيراً وأنها وردت في «مدرار» ثلاث مرات ، وفي «مرصاد» مرة واحدة .

٦ - صيغة فُعلة

هذه الصيغة هي إحدى الصيغ غير القياسية التي وردت في القرآن الكريم بيد أنه قد ثبت لنا من تتبع هذه الصيغة في القرآن الكريم وجدناها قد استعملها القرآن ثلاث مرات ، أي أنها أكثر وروداً من صيغة «منفعال» مكررة . ومن الجدير بالذكر أن صيغة «فُعلة» على ندره ورودها في القرآن الكريم إلا أنه قد وردت الفاظها الثلاث في سورة واحدة هي سورة الهمزة وهي قوله تعالى (ويل لكل همزة لمزة ..) وقوله تعالى (فلا يُنبَذَنَّ في الحطمة وما أدراك ما الحطمة) (٦) .

(١) سورة ق . آية ٣٠

(٢) سورة الفجر . آية ١٤

(٣) ابو حيان . البحر المحيط ٤/٧٠

(٤) ابو حيان . البحر المحيط ٤/٧٠

(٥) المصدر نفسه ٤/٧٠

(٦) سورة الهمزة . آية ٣٢

فالألفاظ : هُمَزَةٌ ، لُمَزَةٌ ، المحطمة ، هي على وزن «فُعَلَّة» التي للمبالغة واختلف العلماء في «الهمز واللمز» فمنهم من قال (١) : إن الهمزة هو الذي يغتاب ويطنن في وجه الرجل ، واللمزة : هو الذي يغتابه من خلفه إذا غاب ، ومنه قول حسان بن ثابت :
همزتك فاحتضنت بذل نفسٍ بقافية تأججُ كالشُّواظِ (٢)
واختار هذا القول النحاس ، قال : ومنه قوله تعالى (ومنهم من يكلمك في الصدقات) (٣) .

وقال مقاتل ضد هذا الكلام : إن الهمزة : الذي يغتاب بالغبية ، واللمزة : الذي يغتاب في الوجه (٤) .

واللفظتان صفتان ذميتان ، قد حذر الله - تبارك وتعالى - المؤمنين منهما ، وذم غاية الذم من اتصف بهما ، ولذلك وصفه القرآن الكريم بإحدى صيغ المبالغة ، للدلالة على كثرة هذا الفعل منه ، ولولا كثرة هذا الفعل منه لما وصفه الله بأنه «همزة لمزة» .

وقد ورد في غير هذه الصورة ذكر لصاحب هذه الصفة الذميمة في سورة أخرى بصيغة المبالغة ، وذلك في قوله تعالى (همّاز مشاءٍ بنميم) (٥) .

فوردت همّاز على صيغة «فَعَّال» . وهذا - ما من ريب - دلالة واضحة على عناية القرآن بتطهير المجتمع من هذه الصفة الذميمة ، فلما أراد ردع النفوس عنها ، وصرف الناس إلى ما هو أفضل وجب أن يكون اللفظ الذي يعبر عن هذا الردع قوياً جامعاً مؤثراً وهذا هو دور صيغ المبالغة ، فكأننا عندما نقرأ هذه الآية نحس بتبجح هذه الصفة ونقر من أعماق أعماقنا بحبث هذه النفوس . وهذه طريقة من طرق التعمير القرآني يستثمر برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني .

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٠/١٨١ - ١٨٢

(٢) الديوان

(٣) سورة التوبة . آية ٥٨

(٤) انظر تفسير القرطبي ٢٠/١٨٢

(٥) سورة القلم . آية ١١

أما تناسب ذكر «هُمزة ولمزة» . مع ذكر «حُطمة» فإن هذا الأسلوب القرآني يوحى لنا سرّاً من اسرار العدل الإلهي العظيم ؛ حتى في العبارات عدل فما دام هذا الشخص «هُمزة ولمزة» فإن جزاءه «حُطمة» فالكلمات على وزن واحد ، وصيغة واحدة ... وكأنه يقول له : (إن كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة) (١) .

٧ - صيغة فُعَال

وردت صيغة «فُعَال» في القرآن الكريم مرتين ، إحداهما قوله تعالى (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إلهاً واحداً إنَّ هذا شيءٌ عَجَاب) (٢) ، والثانية قوله تعالى (ومكروا مكرًا كِبَارًا) (٣) . وهنا امر لا مذهب لنا دون التنبيه إليه ، هو أن صيغة «فُعَال» وردت عند العرب بتشديد العين «فُعَال» وبتخفيفه «فُعَال» وهذان الإستعمالان وردا في القرآن الكريم ، مع أنهما انلفظان الوحيدان فيه . فقوله تعالى (إن هذا شيءٌ عَجَاب) (٤) قرئت بالتشديد «عَجَاب» وبالتخفيف «عَجَاب» ولكن القراءة المشهورة بالتخفيف . ومعنى «عَجَاب» الشيء الكثير العجب . قال الإمام ابو البركات : (بلغ في العجب . وقيل . العجب . ماله مثل ، والعجاب ما لا مثل له) (٥) .

فالكافرون يستبعدون كون الآلهة إلهاً واحداً ، ولذلك جاء بلنظ يُنبيء عن هذا الإستنكار الشديد والرفض القاطع ، فكان لفظ «فُعَال» المعبر عن هذا المعنى البليغ .

وكذلك قوله تعالى (ومكروا مكرًا كِبَارًا) (٦) يدل على عظم عنادهم وصددهم عن سبيل الله . فقد بعث نوح - عليه الصلاة - في هؤلاء القوم (الف سنة إلا خمسين عاماً) (٧) فلم يؤمن له الا قليل ، وهؤلاء الكفرة لم يكتفوا بعدم الإيمان به ولكنهم مكروا الإبطال

(١) الرازي . التفسير الكبير ٩٤/٣٢

(٢) سورة ص . آية ٥

(٣) سورة نوح . آية ٢٢

(٤) سورة ص . آية ٥

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل لابي البركات النسفي ٣٤/٤

(٦) سورة نوح . آية ٢٢

(٧) سورة العنكبوت . آية ١٤

الدعوة ، وإغلاق الطريق في وجهها إلى قلوب الناس ، ومكروا لتزيين الكفر والضلال ، والجاهلية التي تخبط فيها القوم وتحريضهم الناس على الإستمسك بالأصنام ، وبعد كل ما ذكرنا من الصفات وجب وصف مكرهم : بصفة تدل على المكر المتناهي الموغل في الكفر ، فوردت « كِبَار » على زنة «فُعَال» للمبالغة لتؤدي هذا المعنى ، وقد وقّت بالمراد خير توفية .

٨ - صيغة فعّال

هذه الصيغة هي إحدى صيغ المبالغة . والغريب أن علماء النحو والصرف لم يذكروها في كتبهم ، مع أنهم ذكروا في كتبهم كثيراً من صيغ المبالغة القياسية وغير القياسية . بيد أن علماء التفسير ذكروها في مؤلفاتهم وهي لفظة (الرحمن) .

ولا اعلم ما هو وجه التخصيص لهذه اللفظة دون غيرها ؛ مع انه قد ورد في القرآن الكريم غيرها .

لقد ورد في القرآن الكريم لفظان على وزن «فَعْلَان» غير لفظ «رحمن» وهما : قوله تعالى (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونُردُّ على أعقابنا بعد إذ هَدانا اللهُ كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى أئتنا قُلْ إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لربِّ العالمين) (١) .

وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بتيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) (٢) فكلمة (حيران) في الآية الأولى صيغة مبالغة على وزن فَعْلَان ؛ وكذلك كلمة (ظمآن) في الآية الثانية صيغة مبالغة على وزن فَعْلَان .

أما كلمة (الرحمن) فقد وردت في القرآن الكريم كثيراً ، وفي مواطن مختلفة ، وهي تعني الكثير الرحمة ، فهي (مبالغة اسم الناعل) (راحم) وقد ذهب جمهور العلماء إلى ان (رحمن) هو اسم الله - تبارك وتعالى - وليست صفة . قال ابن سيدة (فالرحمن اسم الله

(١) سورة الأنعام . آية ٧١

(٢) سورة النور . آية ٣٩

خاصة ، لا يُقال لغير الله رَحْمَن ، ومعناه : المبالغ في الرحمة ... ، وفعالان من بناء المبالغة (١) .

وكلمة (حيران) تعني الكثير الحيرة . ووجه مجيء المبالغة في هذه الآية أن الله تبارك وتعالى -- أراد تصوير قبح من يرتد عن دينه . فبعد التوحيد ينغمس في متاهات الشرك واتباع الأهواء ، وبعد ان كان يعبد إلهاً واحداً لا شريك له أصبح فريسة لعقائد استهوتها آلهة وهمية متعددة.. فالشخص في هذا الموقف يتحسس العذاب النفسي الذي يرتسم في اعماقه حتى ليكاد يخس ويلمس من خلال التعبير ... هذا الإضطراب النفسي يبلغ أشده عندما يدعو أصحابه إلى الهدى ... ففي هذه الحالة يكون بين قوتين قوة الهدى وقوة الضلال ، وما من ريب أن صيغة المبالغة وردت معبرة خير تعبير عن حالته النفسية .

ولفظه ظمآن هي على وزن (فعالان) أيضاً للمبالغة . وتعني الشديد البطش . فالقرآن الكريم صور هذا المقام أروع تصوير وأبلغه . وهذا ماثل أمام أبصارنا من خلال دقة وروعة استعمال الكلمات في الآية الكريمة ، ومن خلال النسق التعبيري المترابط ... حتى كأننا بالكافر يقف يوم الحساب زاعماً أنه قد قدم اعمالاً صالحة في الحياة الدنيا ... ولكنه يفاجأ بالحقيقة وما أعماله إلا هباء منثور لأنه كفر بربه ولم يستقم في عقيدته . وهذه المفاجأة تتطلب لفظاً موحياً يعبر عن تلك الحالة التي تلازم الكافر ، وقد كانت صيغة (فعالان) موفية للغرض فورد وصفه على (ظمآن) إمعاناً في إبراز المعنى وإظهاره .

أما الرحمن فقد أفردت لـ «الرحمن الرحيم» موضعاً في نهاية هذا البحث تحت عنوان (موازنة بين فعالان وفعيل) .

٩ - صيغة فُعِل

لقد وردت صيغة (فُعِل) للمبالغة في القرآن الكريم في موضعين ، وذلك في قوله تعالى (يقول أهلكت مالا لبداً) (٢) وقوله تعالى (إنها لاحدى الكُبرى) (٣) . فكلمة (لُبْدًا) هي بناء للمبالغة ، وتعني المال الكثير . يقول ابن منظور : (ومالٌ لُبْدٌ : كثير لا يخاف فناؤه

(١) المخصص لابن سيده ١٥١/٥

(٢) سورة البلد. آية ٦

(٣) سورة المدثر. آية ٣٤

كأنه التبد (١) بعنقه على بعض وفي التنزيل العزيز «يقول أهالك مالا لُبِّدًا» (أي جمًّا) (٢).
فكلمة (لُبِّد) على وزن (فُعَل) وهي مبالغة اسم الفاعل : ألا ترى ان العرب تقول : حَطَّم
يَحْطِّمُ فهو حاطم ، فإذا أرادوا أن يبالغوا في وصف الشيء بكثرة التحطيم قالوا (حُطِّم)
وبهذا المعنى قال شاعرهم (٣) :

هذا أوان الشد فاشتدي زيمٌ قد لفها الليل بسواق حُطِّم
وكذلك (لُبِّد) تقول : تلبِّد الشَّعْرُ فهو مُتَلَبِّدٌ : أي : غيرُ شَعَثٍ ولا منشور بل متجمع
بعنه على بعض . وفي هذا المعنى قال زهير (٤)

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقدِّف له لُبِّدٌ أظفاره لم تقلِّم
ومن هنا أخذ هذا اللفظ للمال الوفير . ومن هنا نعلم مدى ما أدتته صيغة (فُعَل) في
الآية الكريمة من معنى . لقد صوّرت تكبُّر هذا الشخص وافتخاره على الناس بأنه أهلك
مالاً وفيراً ، غير أن كلمة (وفير) أو (كثير) لا تعطي لنا المدلول المعنوي لـ «لُبِّد» فهذه
تُشعرنا بأن الكفَّرة متشدقون متكبرون حتى في الفاظهم .

أما كلمة (الكبِّر) في قوله تعالى (إنها لاحدى الكبِّر) فخليق بنا أن نذكر شيئاً مما أدته
هذه اللفظة في سياق الآيات الواردة فيها . فهذه الكلمة وقع مشير ينسجم كل الإنسجام مع
ذكر القسم ، ولفظة الردع (كلا) وذكر المشاهد الكونية المشيرة . فالقسم ذاته ، ومحتوياته
والمقسوم عليه بهذه الصورة كلها مطارق تطرق القلوب بعنف وشدة ، وتتسق مع النقر في
الناقور . فهذه اللفظة التي نحن بصددنا - أعني الكبير - جاءت جواباً للقسم ، وهي تُنبئ
عند الأهوال التي سيرها الإنسان يوم القيامة .

١٠ - صيغة فُعَل

هذه الصيغة لم أجد من علماء النحوي أو الصرف من ذكرها بأنها من صيغ المبالغة ، ولكن
الذي ذكر بأنها من صيغ المبالغة هو : بدر الدين الزركشي في مؤلفه (البرهان) (٥) .

(١) التبد : يقال : التبد المال : مراكوم بعنه فوق بعض

(٢) جمًّا : كثيراً

(٣) انظر الكامل للمبرد ٣٨١/١

(٤) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٧٧

(٥) الزركشي . البرهان في علوم القرآن ١٦/٢ هـ

بيد أنني فحصت الأمثلة التي أوردها لم أجد ما يقوي حجته ؛ فقد أورد كلمات منها : الشورى ، الحسنى ، السوآي ، العليا ... وهذه الكلمات ليست للمبالغة في بنائها ، ولكنها تحوي معنى المبالغة . وهذا الذي اذكره ما أفهمه من خلال كلام المفسرين . ولأناخذ احدى هذه الكلمات ولتكن كلمة (الشورى) لتكون لنا مثلاً على صحة ما نقول ثم نقيس أخواتها .

لقد وردت كلمة الشورى في قوله تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) (١) .

ففي هذه الآية وردت كلمة الشورى مصدرآ ، ونحن نعلم أن صيغ المبالغة هي من اسم الفاعل ، وهذا دليل على عدم كونها من أبنية المبالغة يقول الزمخشري (والشورى : مصدر كالفتيا ، بمعنى التشاور) (٢) .

ويقول الآلوسي : (وامرهم شورى بينهم) أي : ذو شورى ، ومراجعة في الآراء بينهم ، بناء على ان الشورى مصدر كالبشرى ، فلا يصح الإخبار ؛ لأن الأمر متشاور فيه ، إلا إذا قصد المبالغة» (٣) .

وواضح من كلام الآلوسي : «إلا إذا قصد المبالغة» إن ذلك يكون يجعل كلمة (شورى) هي خبر (امرهم) ؛ فيكون الأمر هو المشاورة . وهذا الكلام مبالغة في المعنى وليس في البناء والصيغة ؛ وهو من باب تنزيل المصدر منزلة الصفة .

موازنة بين فعييل وفعالان

ان الوجه بين هذه الموازنة بين فعييل وفعالان هو أكثر العلماء من الكلام بصددهما فتارة يرجحون «فعالان» على «فعييل» في المعنى وشدة المبالغة وتارة أخرى يعكسون الترجيح وفضلا عن ذلك ذهب بعضهم الى جعل احدى الصيغتين عامة والاخرى خاصة .

- (١) سورة الشورى . آية ٣٨
- (٢) الزمخشري . الكشاف ٢٢٨/٤
- (٣) الآلوسي . روح المعاني ٢٢٨/٧

ومحور الخلاف في هاتين الصيغتين ، هو الكلام على قوله تعالى (الرحمن الرحيم) (١) وأني لذاكر أهم الآراء التي وردت ثم أعقب عليها برأيي . ورد في كتاب : (تنوير المقباس تفسير عبدالله بن عباس) بصدد تفسير قوله تعالى (الرحمن الرحيم) : والرحمن : العاطف على البر والفاجر بالرزق لهم ، ودفع الآفات عنهم ، الرحيم : خاصة على المؤمنين بالمغفرة وأدخلهم الجنة... (٢)

وأورد الطبري كلاماً مفصلاً عن لفظتي (الرحمن الرحيم) نقبتس بعضاً منه : «الرحمن هو فعلان، من رحم، والرحيم ، فعيل منه ، والعرب كثيراً ما تبني الأسماء من فعل يفعل على «فعالن» كقولهم من غضب غضبان ، ومن عطش عطشان.. (٣)

ثم يقول : (فان قال قائل : فاذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة ، فما وجه تكرار ذلك وأحدهما مؤدٍ معنى الآخر ؟

قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما ظننت ؛ بل لكل كلمة منها معنى لا تؤدي الأخرى منها عنها... فلا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل (الرحمن) عن ابنية الأسماء من : فعل ويفعل أشدَّ عدولاً من قوله الرحيم... (٤) .

فالظاهرة من كلامه أنه من القائلين بزيادة (فعالن) على (فعيل) في معنى المبالغة.

ثم ينتهي الى رأيين نقلهما عن السلف : الأول يرويه بسنده عن العزري قوله : «الرحمن الرحيم» قال : الرحمن بجميع الخلق ، الرحيم : قال بالمؤمنين (٥).

والثاني : يرويه بسنده عن أبي سعيد الخدري . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

— ان عيسى بن مريم قال : الرحمن : رحمن الآخرة والدينيا والرحيم : رحيم الآخرة .

ثم نراه يجمع بين الرأيين برأي واحد وهو قوله «أنه بالتسمية بالرحمن موصوف بعموم

الرحمة جميع خلقه ، وأنه بالتسمية بالرحيم موصوف بخصوص الرحمة بعض خلقه» (٦)

(١) سورة الفاتحة . آية ٢

(٢) تنوير المقباس — لابن عباس — مطبوع بهامش كتاب : الدر المشور للسيوطي ٣/١

(٣) تفسير الطبري ٥٥/١

(٤) المصدر نفسه ٥٥/١

(٥) تفسير الطبري ٥٥/١

(٦) المصدر نفسه ٥٥/١

أما الزمخشري : فقد ذهب الى أنه «في الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ، ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا، ويقولون : أن الزيادة في البناء لزيادة المعنى..» (١) أما ابن قيم الجوزية . فقد قال : «فالرحمن : الذي الرحمة وصفه والرحيم : الراحم لعباده . ولهذا يقول تبارك وتعالى (وكان بالمؤمنين رحيماً) (٢) . ولم يرد رحمن بعبادة ولا رحمن بالمؤمنين ، مع ما في اسم «الرحمن» الذي هو على وزن «فعلان» من سعة هذا الوصف، وثبوت جمع معناه الموصوف به ...» (٣).

ومن العلماء المحدثين الذين تناولوا هاتين الصيغتين الامام محمد عبده يقول : « والسني أقوله أنه صيغة (فعلان) تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة كفعّال، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة ، كعطشانٍ وغضبان ... وأما صيغة «فعليل» فإنها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس، كعليم وحكيم وحليم... فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل، وهي إضافة النعم والإحسان، ولفظ الرحيم يدل على منشيء هذه الرحمة والاحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الراجبة ، وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر، ولا يكون الثاني مؤكداً للأول» (٤) بعد أن بسطنا آراء بعض المفسرين وائمة اللغة في معنى «فعلان» و«فعليل» حقيق بنا أن نزجي اليهم الشكر على جهودهم المخلصة الغيرة على كتاب الله تبارك وتعالى — وما من ريب في أنهم افنوا حياتهم في خدمته نود ان ندلو بدلونا بين الدلاء في معنى هاتين الصيغتين . ورأينا يتلخص فيما يأتي :

١ — أن صيغة «فعلان» بصورة عامة تدل على الامتلاء الشديد أو الخلو الشديد . فكلمة (شبعان) تدل على الشبع الشديد . «وجوعان» تدل على الجوع الشديد . و«فعلان» صفة عارضة على الأغلب.

أما الرحيم ففيها اكثر ما تدل على الصفات الثابتة ، والتي تكون ميزة من سميات الموصوف بها وكلا الصيغتين تدلان على الكثرة والمبالغة .

(١) الكشف للزمخشري ٦/١

(٢) سورة الاحزاب . آية ٤٣

(٣) الجوزية . ابن قيم . مدارج السالكين ٣٣/١

(٤) عبده . الامام محمد دروس من القرآن الكريم ص ٤٨

٢ - أما بالنسبة للرحمن الرحيم فأقول : أن «الرحمن» وردت هنا اسماً وهذا الاسم قد حمل معنى الوصف ، وهو شدة وكثرة الرحمة منه . أما الرحيم فهي الصفة الثابتة التي وصفت لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى «بسم الله الرحمن الرحيم» (١) فالرحيم صفة (الله) وليس للرحمن ، لأن لفظ الجلالة «الله» هو غير مشتق من جذر معلوم (٢) - على الأغلب فوصف - سبحانه - نفسه بأنه الإله الرحمن الرحيم . ولعل اظهر ما يظهر من أدلة تأييد ما ذهبنا إليه :

١ - أننا لانجد أبداً في القرآن الكريم وصف لفظ الجلالة (الله) بـ(الرحمن) وأنسبا بوصف بأنه (رحيم) ويسمى بأنه (رحمن) هذا في غير البسملة ومما ورد في ذلك قوله تعالى (أن الله بالناس لرؤوف رحيم) (٣)

وقوله تعالى (وهو الرحيم الغفور) (٤) ، وقوله تعالى (أن الله غفور رحيم) (٥) ... والسخ من الايات التي تورد صفة (الرحيم) مع غيرها - لله تبارك وتعالى . ولا تجد من بين هذه الشواهد ولا غيرها مثلاً «الله رحمن بعباده» وإنما أكثر ماورد لفظ (الرحمن) اسم من اسماء الله تبارك وتعالى وليس صفة ، الا أن من خصوصية هذا الاسم أنه مشتق من صفة من الصفات العلية وهي الرحمة.

ومما ورد من الايات الدالة على أن لفظ «رحمن» اسم : قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (٦) وقوله تعالى (قل أدعو الله أو أدعو الرحمن أيأ ما تدعو فله الأسماء الحسنی) وهذه (٧) الاية صريحة غاية الصراحة في أن (رحمن والله) هما اسمان للخالق تبارك وتعالى ثم أنه فيها ناحية اخرى وهي : انها قرنت الاسمين معاً ، وهذا ينهض دليلاً على ماقررناه

(١) سورة الفاتحة

(٢) القرطبي ١٠٢/١ ، ١٠٣٤

(٣) سورة البقرة . آية ١٤٣

(٤) سورة سبأ . آية ١٤٣

(٥) سورة المائدة . آية ٣٩

(٦) سورة طه . آية ٥

(٧) سورة الاسراء . آية ١١٠

أولاً ، وأي دليل أوضح وأظهر من هذا ؟ويقوي رأينا قوله تعالى – على لسان ابراهيم –
صلى الله عليه وسلم (ياأبتِ أني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
ولياً) (١) . وقوله تعالى (وأذا قيل لهم أسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا
وزادهم فقوراً) (٢).

٢ – أن القرآن الكريم استعمل كل اسم من اسمي الجلالة (الله)(والرحمن) بصورة
منفردة ، ثم أجرى لهما أوصافاً وأفعالا . فشواهد لفظ الجلالة (الله) كثيرة منها قوله تعالى
(الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز) (٣)

وأما اسم (الرحمن) فوصفه بقوله تعالى (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون (٤) وقد
يعترض معترض فيقول : أن كان ذلك كما زعمت ، فلماذا جعل القرآن الكريم لفظ (الرحمن
بين لفظ الجلالة (الله) وصفته (الرحيم) ؟والجواب عن ذلك انه – تبارك وتعالى – أراد
أن يجمع بين الاسمين الكريمين في بداية الذكر الحكيم تأكيداً لمصدر القرآن الرباني . ثم
أن ذكر الرحيم بعد (الرحمن) لا يلبس المسألة ؛ لأن (الرحمن) حاوٍ معنى الرحمة في ذاته
فهو مشتق منها ، فلا بد أن تنجس صفة الرحيم الى لفظ الجلالة (الله) المذكور قبل الرحمن
والذي لا ريب فيه أن كلمة (الله) اشهر في تسمية الخالق تبارك وتعالى من كلمة (الرحمن)
لكن لكلمة الرحمن مدلولاتها في مواطنها ، ما يؤدي معنى جليلاً يقصده السياق القرآني
وهذا معلوم في مواطنه في القرآن الكريم ويؤيد هذا الرأي – أي كون «الرحمن» اسماً –
ويدعمه ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قال الله عز وجل : أنا الرحمن
خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» (٥)
وبعد .

(١) سورة مريم . آية ٤٥

(٢) سورة الفرقان . آية ٦٠

(٣) سورة الشورى . آية ١٩

(٤) سورة الأنبياء . آية ١١٢

(٥) هذا النص أوردده القرطبي في تفسيره ١/١٠٤

فها نحن اولاء قد بسطنا فيما قدمناه «صيغ المبالغة الواردة في القرآن الكريم» فالقرآن الكريم وهو كتاب العربية الأكبر قد اكتشفه علماء اللغة من كل جهة، وتعاودوه من كل ناحية وحسبنا أن نقول أدلينا بدلونا بين الدلاء فكان خلاصة ما هُدي إليه الاستقراء القرآني .
ووفاءً بحق البحث وتوفية بالفائدة مانحن بصدده لأبد لي أن أشير الى أن علماء النحو - بصريين وكوفيين - قد اجمعوا على ورود منصوبات بعد صيغ المبالغة. بيد أنهم يختلفون في المناصب (١) لها . أما صيغ المبالغة في القرآن الكريم فلم اجد صيغة واحده أتت عاملةً ، وإنما وردت جميعها في القرآن الكريم صفات لزيادة الحدث الوصفي ، وتعرب حسب موقعها من الجمل.

وألله أسأل ان ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

(١) انظر في بحثنا هذا ص ٤

المصادر والمراجع

- ١ - البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي . مطبعة دار السعادة بمصر .
- ٢ - البرهان في علوم القرآن للزركشي . دار أحياء الكتب العربية بمصر . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
- ٣ - التفسير الكبير للرازي . المطبعة البهية المصرية بميدان الأزهر - مصر
- ٤ - تفسير المنار لمحمد رشيد رضا . دار المنار بمصر
- ٥ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . ط ٣ . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ
١٩٦٧ م القاهرة
- ٦ - حاشية الصبان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك . دار أحياء الكتب العربية
علي البابي الحلبي . القاهرة
- ٧ - دراسات في اللغة العربية لمحمد الخضر حسين جمع وتحقيق علي الرضا التونسي
ط ١ ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- ٨ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي . وبهامشه تنوير المقباس لعبدالله بن عباس .
- ٩ - دروس من القرآن الكريم . للامام الشيخ محمد عبده . تقديم طاهر العطناحي طبع
بمطابع دار الهلال
- ١٠ - شرح الأشموني على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة
البابي الحلبي بمصر ط ٢
- ١١ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة
السعادة بمصر .
- ١٢ - شرح التصريح على التوضيح للأزهري . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .
- ١٣ - شرح المفصل لابن يعين . طبع إدارة المطبعة المنيرية
- ١٤ - الكتاب لسبيويه . تحقيق عبد السلام هارون . دار العلم ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م
- ١٥ - مبارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
- ١٦ - المتقضب لأبي العباس المبرد . تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة . دار نهضة مصر
- ١٧ - النحو الوافي لعباس حسن ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م
- ١٨ - مجمع الهوامع للسيوطي . دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت .